المواجهة الدموية بين الصوفية والرهبان الفرسان الصليبيين في الحجاز وفلسطين خلال الفترة من ١١٨٣ إلى ١١٨٧م

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

جامعة الشارقة

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

يعد عصر الحروب الصليبية زاخرًا بالأحداث، ومنها تلك المواجهة الدموية بين عناصر الصوفية وفرق الرهبان الفرسان الصليبيين سواء من الاستدارية والراوية في الحجاز وفلسطين خلال الفترة من ١١٨٣ إلى ١١٨٧م.

يسلط هذا البحث الضوء على تلك الأحداث وأهميتها كجزء من دراسة تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى.

middle-east2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

Abstract:

The bloody confront between Sufi people and the crusader fighting monks in Hejaz and Palestine (1187 –1183).

The age of the crusades eventful, hence, we have bloody confront between Sufi people and the knights hospitallers and Templars in both Hejaz and Palestine between (1187 –1183).

This paper focuses on that confront and discusses its importance among the history of relations between east and west in the middle ages.

middle-east2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

يتناول هذا البحث بالدراسة تلك المواجهة الدموية التي حدثت بين المتصوفة المسلمين وعناصر الرهبان الفرسان الصليبيين في الحجاز وفلسطين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وتحديدًا خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١١٨٣، ١١٨٧م(*).

تواجه الباحث في الموضوع المذكور بعض الصعاب تتمثل في التالي:

أولاً: تباين المادة المصدرة؛ إذ إننا نجد إشارات متعددة لدى المصادر العربية التي عاصرت العصر الأيوبي، على حين لا نجد ما يوازي هذا لدى مصادر الجانب الصليبي التي لاذت بالصمت في الغالب الأعم.

في هذا الصدد، من الملاحظ أن وليم الصوري William of Tyre، وهو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية، لا يورد عنها أدنى إشارة على الرغم من أنه عاصر أحداثها؛ ولعل من أسباب ذلك فشلها؛ إذ في حالة الافتراض بنجاحها– لا قدر الله تعالى – لوجدها فرصة سانحة من أجل النكاية في المسلمين.

مع ذلك، هناك إشارة مقتضبة أوردها الفارس إرنول Ernoul تفيد بتجهيز أرناط لعدة سفن وإبحاره في البحر الأحمر، إلا إنه يذكر الأمر كنوع من الاستكشاف للمنطقة، ولم يورد شيئًا عن الحملة المذكورة ذاتها.

أمام ذلك الأمر، ليس أمامنا إلا التعامل مع المصادر التاريخية العربية المعاصرة، ونضطر إلى التعامل مع مصادر أحد الطرفين المتصارعين، وهو أمر يتطلب من المؤرخ الحيطة والحذر.

ثانيًا: يتطلب الأمر من الباحث، التحليل والافتراض أمام نقص الإشارات المصدرية الصليبية، وذلك دونما قولبة أو افتعال، أو اعتساف الأحكام بل من خلال طبيعة العصر التاريخي ذاته الذي شهد المواجهة بين عالمي الإسلام

والمسيحية على أرض بلاد الشام، وكل ذلك دون الوقوع في أسر المصدر الواحد.

لسنا في حاجة إلى تتبع نشأة وتطور التصوف[١] الإسلامي كظاهرة دينية تاريخية بدأت في الإسلام بمرحلة الزهد ثم وصلت إلى المتصوفة المتفلسفين، وقد ازداد شأن التصوف من بعد ما قام به الإمام أبو حامد الغزالي[٢](ت ١١١١م) الذي خاض تجربة روحية أوردها في كتابه «المنقذ من الضلال».

ازدهر التصوف في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية خاصة مع تلك الصدمة النفسية التي تعرض لها المسلمون المعاصرون على أثر نجاح الصليبيين في غزو المنطقة واستقرارهم فيها، وبالتالي كان اللجوء إلى التصوف كرد فعل لما حل بهم.

لقد حرص الحكام المسلمون على التقرب للمتصوفة وعلى نحو خاص شيوخهم البارزين؛ نظرًا لما لهم من قوة تأثير بالغة على الرأي العام حينذاك، وقد تولاهم صلاح الدين الأيوبي (١١٧١–١١٩٣م) بالرعاية – على سبيل المثال – فكان يقيم لهم الخوانق[٣] والزوايا كما زار شيوخهم لذلك نراه يزور الشيخ الصالح أبي زكريا المغربي[٤]، كذلك هناك إشارات تفيد بحضور الفقهاء والصوفية في مجلسه وحضوره حلقات إنشادهم[٥]، مما أكد دعمه لهم وإدراكه لأهمية تأثيرهم في المجتمع حينذاك.

أما عناصر الرهبان الفرسان Fighting Monks لدى الصليبيين؛ فيقصد بها الاسبتارية[٦] Hospitallers والداوية Templars[٧]، وقد نشأت الأولى في بيت المقدس من خلال جهود رجل يدعي جيرارد Gerard من قبل مقدم الصليبيين وغزوهم للمنطقة، حيث أقام مستشفى في بيت المقدس، وتطورت أمر تلك الهيئة التي بدأت دينية حتى صارت حربية، وصارت ذات نفوذ ضخم، فكانت أشبه بدولة داخل دولة، حيث امتلكت العقارات والأراضي في بلاد الشام وفي أوروبا، وقد شاركت في كافة المعارك الحربية ضد المسلمين، بل كان فرسانها أشد العناصر الصليبية فتكًا بهم.

أما هيئة الداوية، فقد نشأت عام ١١١٨م من خلال جهود فارس فرنسي يدعى هيودي باين Hugh de paynes[٨]، وآخر يدعى جو فري أوف سانت أومير Gedfrey of St. Omer، وكان الهدف منها حماية الطريق الواقع بين يافا Joppa وبيت المقدس[٩]، وهو طريق صخري وعر كان المسلمون يكمنون فيه للصليبيين ليهاجمونهم، وقد تطور أمر هذه الهيئة التي بدأت بداية حربية، فامتلكوا القلاع الحصينة[١٠]، والإقطاعات والأملاك الواسعة في بلاد الشام والغرب الأوروبي وشاركوا في كافة المعارك الحربية ضد المسلمين، وكانوا أكثر شراسة في قتالهم من غيرهم من الصليبيين.

تجدر الإشارة إلى إدراك المتصوفة المسلمين في بلاد الشام لخطورة عناصر الرهبان الفرسان من خلال اشتراكهم في المعارك ضد المسلمين، وقد عرف هذا الأمر الشيخ عبد الله اليونيني[١١](ت ١٢٢٠م) الذي كان يعد من كبار شيوخ التصوف هناك، ومن المرجح أن ذلك الإدراك قد انتقل ليشمل قطاعات كبيرة من المتصوفة حيال تلك العناصر الصليبية.

أما فيما يتصل بالمواجهة بين الجانبين، فنرصد حدوثها في العصر الأيوبي (١١٧١-١٢٥٠م) على نحو خاص، وهو العصر الذي شهد صفحات ناصعة من الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين وحدثت خلاله الحملات الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) والخامسة، (١٢١٨-١٢٢٢م)، والسادسة (١٢٢٩م)، والسابعة (١٢٥٠م) أي إن أكثر من نصف عدد الحملات الصليبية وقعت خلال حكم الأيوبيين الذين أبلوا بلاءً حسنًا خاصة في عهد مؤسسهم صلاح الدين الأيوبي دون إغفال أدوار السلاطين الآخرين المكملين لدوره التاريخي الفذ.

واقع الأمر، حدثت المواجهة المذكورة مرتين إحداهما عام ١١٨٣م، والثانية عام ١١٨٧م، وبالتالي علينا دراسة الظروف التي صاحبت كل مواجهة من أجل تحليلها والخروج بدلالات من ورائها من خلال المقارنة بين الحادثتين.

جدير بالذكر، اشترك الاسبتارية والداوية في حملة الفارس الصليبي رينودي شاتيون Renauld de Chatillion المعروف في المصادر العربية باسم أرناط [١٢]، حيث قام بحملة على الحجاز عام ١١٨٣م [١٣]، وقد هدف من ورائها إخراج رفات الرسول ﷺ من قبره في المدينة المنورة كي ينقله إلى الكرك حيث إمارته هناك بالأردن.

أعد أرناط السفن اللازمة لذلك وتم نقلها على ظهور الجمال، وأبحر في خليج العقبة وهاجم ينبع على ساحل البحر الأحمر، بل وأرسل بعض قطعه الحربية لمهاجمة عيذاب[١٤]، من أجل تشتيت المسلمين وإرباكهم، وكان ذلك الهجوم مفاجئًا؛ إذ لم يتوقع المسلمون وجود صليبيين في البحر الأحمر.

من الملاحظ وقوع تلك الحملة الصليبية الغادرة على الحجاز خلال المدة الزمنية الواقعة بين ٢٨ يناير إلى ٢٦ فبراير ١١٨٣م[١٥]، وكان ذلك في أعقاب موسم الحج حيث قدم إلى الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز مئات الآلاف من المسلمين للقيام بأداء فريضة الحج من كافة بقاع العالم الإسلامي.

ومن المفترض أن ذلك الفارس الصليبي الأرعن الذي حركه الحقد الدفين ضد الإسلام وأهله بعد أن أمضى (١٦) عامًا في أسر المسلمين، تخير ذلك التوقيت بالذات من أجل التشهير بالأيوبيين وإظهارهم بمظهر العاجز عن حماية تلك البقاع المقدسة، ومن الصعب– في تقديري – تقييم دوافع تلك الحملة بالنسبة له إلا من خلال عقدة الأسر التي حركته بقوة وتعصب غير مسبوقين.

وكان صلاح الدين في منطقة الجزيرة الفراتية في شمالي العراق، وقد سارع بالاتصال بالملك العادل أبو بكر في مصر لمواجهة تلك الأحداث العاصفة، وتم نقل قطع الأسطول المصري من الإسكندرية إلى البحر الأحمر، وكان قائده حسام الدين لؤلؤ [١٦] (ت ١٢٠٠م) الذي اتجه إلى الإسراع بمواجهة الصليبيين، وبالفعل تمكن هو ورجاله من القضاء عليهم، وفر أرناط إلى الكرك بعد أن وقع في أيدي المسلمين عدد

كبير من الأسرى بلغو نحو (١٧٠) أسيرًا منهم عناصر الاسبتارية والداوية.

لا مراء، تعد حملة أرناط على الحجاز من أخطر الحملات الصليبية؛ نظرًا لاستهدافها لقبر الرسول ﷺ، ومع ذلك من المستبعد منطقيًّا أن يكون هدفها مكة المكرمة لبعد المسافة، حيث إنها بلغت (٥٠٠) ك.م. من المدينة المنورة إليها، وفي حالة القيام بذلك افتراضًا لبعد عن قاعدته في الكرك، كما لا نغفل أن القوات الصليبية لم تكن على بعد مسيرة يوم واحد من المدينة كما روجت لذلك المصادر الأيوبية المعاصرة كنوع من الدعاية السياسية؛ نظرًا لوجودها بعيدًا عنها بعدة أيام.

لقد أخفق أرناط في تحقيق هدفه، وكان صلاح الدين الأيوبي هو الرابح الأكبر من وراء تلك الحملة الغادرة الفاشلة؛ إذ ظهر أمام العالم الإسلامي– وخاصة الخلافة العباسية– بمظهر حامي حمى الحرمين الشريفين ضد الأطماع الصليبية [١٧]، مما دعم وضعه السياسي بقوة.

تذكر المصادر التاريخية قيام الأيوبيين بإرسال الأسرى الصليبيين ومنهم عناصر الاسبتارية والداوية إلى أماكن المحارم الإسلامية المقدسة، وتم نحرهم وتولى المتصوفة ذلك الأمر في منطقة منى عند مكة المكرمة وبنص المصادر «تم نحرهم كما تنحر البدن التي تساق هدايا بالكعبة»[١٨].

كانت تلك الحادثة الأولى التي تم فيها مواجهة المتصوفة المسلمين بالرهبان الفرسان الصليبيين. ومن الدوافع التي دفعت صلاح الدين إلى ذلك رغبته في أن يواجه الصوفية المسلمين العناصر المترهبنة المحاربة لدى الصليبيين. كما هدف إلى منع تكرارهم الهجوم على الأماكن الإسلامية المقدسة، وحتى لا يعرف أحد من الصليبيين الطريق إليها فيدل الآخرين، فتتكرر تلك الحملة الغادرة في المستقبل.

واقع الأمر، يقدم لنا اشتراك المتصوفة في نحر عناصر الاستبارية والداوية عام ١١٨٣م دليلاً لا يقبل الريب على دورهم الفعَّال في أحداث عصرهم إلى درجة

الإسهام الحربي، وبالتالي يدعونا ذلك إلى عدم قبول كل ما أورده الرحالة الأندلسي الفذ ابن جبير [١٩] (ت ١٢١٧م) على عواهنه، وهو الذي عندما زار دمشق أشار إلى الصوفية قائلاً: «... الملوك بهذه البلاد؛ لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في أسباب المعايش، وأسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنان، فالسعداء الموفقون منهم قد حصل لهم بفضل الله تعالى نعيم الدنيا والآخرة، وهم على طريقة شريفة، وسُنة في المعاشرة عجيبة، وسيرتهم في التزام رتب الخدمة غريبة وعوائدهم من الاجتماع للسماع المشوق جميلة، وربما فارق منهم في تلك الحالات المغفل المثابر رقة وتشوقًا، وبالجملة فأحوالهم كلها بديعة، وهم يرجون عيشًا طيبًا هنيئًا »[٢٠].

إن هذا النص يشعرنا أن الصوفية في بلاد الشام عاشوا حياة هادئة وكأنهم في عصر آخر ليس عصر الحروب الصليبية، بينما دل إسهامهم في الحادثتين المذكورتين على خلاف ذلك.

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لتلك الرحلة، إلا إننا علينا إدراك قصر المدة التي أمضاها ابن جبير في بلاد الشام، وحصوله على المعلومات من خلال المشاهدة والمعاينة والإسراع بالانطباع الأول، الذي ينبغي قبوله مع إكمال الصورة الحضارية من خلال المصادر التاريخية الأخرى.

هناك عدة دلالات يمكن الخروج بها من تلك الواقعة، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً– ليس لدينا أسماء المتصوفة الذين قاموا بالفتك بعناصر الرهبان الفرسان، ومع ذلك من المفترض– منطقيًّا – كونهم من كبار أعلام التصوف حينذاك، وكان قيامهم بذلك الأمر بعناية تشريفًا لهم ودليلاً على حضورهم البارز في المشهد العسكري والسياسي حينذاك.

ثانيًا– تمت الواقعة في الحجاز وتحديدًا في منى كي يطالعها عشرات الآلاف من الحجاج الذين من المتوقع حضورهم في هذا المؤتمر السنوي الفريد، ولتكون بمثابة رسالة إعلامية بارزة لكل من تسول له نفسه مهاجمة المحارم الإسلامية المقدسة، ولا ريب في أن خبر تلك الحادثة بلغ كافة الأقطار الإسلامية مع عودة الحُجاج إلى بلادهم، وهنا يظهر أهمية التاريخ الشفهي العابر للحدود في ذلك العصر كوسيلة إعلام، ونفس الأمر ينطبق على دول الغرب الأوروبي التي بلغها ذلك الخبر.

ثالثًا– من المفترض أن حسام الدين لؤلؤ، وهو قائد الأسطول البحري الأيوبي، قد أشرف على تلك الحادثة كي يؤكد نجاحه التام هو ورجاله في القضاء على تلك الحملة الصليبية الغادرة، ومع ذلك يظل الأمر بمثابة احتمال لا نملك إمكان تأكيده مع صمت المصادر التاريخية المعاصرة.

رابعًا– وقعت الحادثة المذكورة في غياب صلاح الدين الأيوبي في الجزيرة الفراتية كما ذكرت، ومن المنطقي تصور أنها تمت بموافقته الكاملة؛ إذ لا يعقل حدوثها بعيدًا عن توجيه رأس الدولة، وكان من الممكن الاتصال السريع به من خلال الرسائل التي حملها الحمام الزاجل.

لقد أراد صلاح الدين الأيوبي من وراء تلك الحادثة إيصال رسالة واضحة لإرناط ومن يشاركه أفعاله من عناصر الرهبان الفرسان مفادها: إن المتصوفة المسلمين سيقومون بنحر كل من يشارك في المستقبل في الاعتداء على الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز.

أما الحادثة الثانية التي وقعت خلالها المواجهة بين الطرفين، فكانت في أعقاب معركة حطين الحاسمة التي جرت في ٤ يوليو عام ١١٨٧م [٢١]، وهي التي غيرت وجه تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي على نحو جذري وبصورة غير مسبوقة،

حيث أدت إلى هزيمة الجيش الصليبي هزيمة ساحقة، فوقع أكبر جيش أمكن للغزاة حشده منذ أن وطأت أقدامهم بلاد الشام؛ أي منذ عام ١٠٩٨م، بين قتيل وجريح وأسير، بل وقع الملك الصليبي وكبار القادة العسكريين في أسر المسلمين، وقد نتج عنها أيضًا فتح مدن الساحل الشامي الذي ظل خاضعًا للسيادة الصليبية بصورة كاملة خلال الأعوام من ١١٥٣ إلى١١٨٧م، وصار المسلمون خلالها في بلاد الشام يجتاحون الصليبيين لتصريف فائض إنتاجهم، وتم كذلك فتح بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م، ومن بعد ذلك حدث إسقاط القلاع الصليبية ونتج عن حطين أيضًا مقدم ما عرف بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩–١١٩٢م).

تجدر الإشارة إلى اشتراك عناصر الاسبتارية والداوية في أحداث المعركة المذكورة، وقد تم أسر نحو (٢٠٠) منهم وبعد انتهاء القتال، استعرض صلاح الدين الأيوبي أسراه، وأمر بقتل بأولئك الرهبان الفرسان[٢٢]، وقد تولى المتصوفة ذلك الأمر، وتذكر المصادر ما نصه: «طلب السلطان الأسارى من الداوية والاستبارية، فأحضر العسكر منهم في الحال مائتين، وأمر بضرب أعناقهم، وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف، فسأل كل واحد في قتل واحد، فقتلوا بحضرة السلطان"[٢٣].

واقع الأمر، يقدم لنا أبو شامة المقدسي[٢٤](ت ١٢٦٧م) تحليلاً لتلك الحادثة، حيث أشار إلى كونهم أشد أهل الكفر وطأة على المسلمين ولم تجرِ عادة الاسبتارية والداوية بالمفاداة ولا يقلعان عن المعاداة ولا ينفعان في الأسر[٢٥].

لقد أوردت المصادر والمراجع الحادثة المذكورة التي وقعت يوم الاثنين الموافق ٦ يوليو ١١٨٧م على الأرجح أي بعد يومين من وقوع المعركة ذاتها، ومعنى ذلك أن عقاب تلك العناصر لم يتأخر.

من المهم هنا ملاحظة معرفتنا باسمين من رجال الصوفية شاركا في الفتك بالرهبان الفرسان هما الشيخ ضياء الطبري، والشيخ سليمان المغربي[٢٦]، والاسمان لهما

دلالة خاصة، فأحدهما من أقاليم المشرق الإسلامي أي طبرستان، والثاني من بلاد المغرب، حيث شهدت تلك المرحلة مساهمة بارزة لعناصر المغاربة الذين قدموا إلى بلاد الشام بعد أن قطعوا آلاف الكيلومترات من أجل الاشتراك في قتال الصليبيين[٢٧]، وأبلوا في ذلك بلاءً حسنًا، ومنهم من وقع في أسر الأعداء على نحو أكد لنا بوضوح أن قضية الجهاد ضد الصليبيين لم تكن مشرقية فحسب، بل مغربية أيضًا وأن ذلك العصر لم يشهد أية قطيعة بين المشرق والمغرب الإسلاميين، بل توحدوا معًا في مواجهة حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى وأعني بها الحروب الصليبية.

من المنطقي، اختلاف وجهة نظر المؤرخين الغربيين عن المسلمين حيال تلك الحادثة؛ إذ إن المؤرخ البريطاني و.ب. ستيفنسن W.B. Stevenson ذكر أن الواقعة مؤكدة لكن لا نعرف تعليلاً لها[٢٨]، وقد نسي أو تناسى الدور الحربي الذي قامت به عناصر الاسبتارية والداوية ضد المسلمين لعقود سابقة.

من ناحية أخرى، عاب المؤرخ الأمريكي ول ديورانت Well durant (١٨٨٥-١٩٨١م) على صلاح الدين الأيوبي القيام بذلك العمل واعتبره قائدًا قاسيًا[٢٩]، دون إدراك حقيقة الدوافع التي وجهته نحو ذلك التصرف، ولا نغفل هنا ملاحظة أنه في حالة إطلاقه لسراحهم، لعادوا لقتاله على نحو أشد قسوة، وهو ما حدث بالنسبة للملك الصليبي جي دي لوزينيان نفسه.

من المهم هنا عقد مقارنة بين الحادثتين، حادثة عام ١١٨٣م، وعام ١١٨٧م من خلال أوجه التشابه وكذلك الاختلاف من أجل تعميق المشهد التاريخي ذاته.

أما أوجه التشابه فيمكن ملاحظتها من خلال التالي:

أولاً: تعد الحادثتان ضمن العصر الأيوبي الذي امتد تاريخيًّا من عام ١١٧١م إلى ١٢٢٠م، وقد وقعت خلال لعقد الثامن من القرن الثاني عشر الميلادي، وأثناء حكم صلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣م).

ثانيًا: تتشابه الحادثتان في أنهما وفقتا ضمن أحداث عصر الحروب الصليبية Crusades الذي يعد أحد مراحل العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، وخاصة خلال القرن ١٢م.

ثالثًا: هناك زاوية تشابه أخرى من خلال أن المواجهة بين الصوفية والرهبان الفرسان في الحادثتين ارتبطت بصدام عسكري، كما حدث في حملة أرناط عام ١١٨٣م ومعركة حطين عام ١١٨٧م، أي كانت خلال ظروف استثنائية.

رابعًا: تتشابه الحادثتان من خلال وجود الفارس الصليبي أرناط في كلٍ منهما، في الأولى من خلال التخطيط والإعداد والهجوم الغادر ثم الفرار، تاركًا فرسانه يلقون مصيرهم الدموي المحتوم وبالتالي هو المسئول الأول عمل حدث، وفي الثانية تم الفتك به حالة نادرة من بين كبار القيادات الصليبية جراء قيامه بالحملة الغادرة على الحجاز وسخريته من رسول الإسلام ﷺ، ونهبه للقافلة التجارية قبيل معركة حطين ورفضه إرجاعها، على نحو أكد التلازم بين الحادثتين وعدم إمكانية الفصل بينهما سواء في تاريخ صلاح الدين الأيوبي أو تاريخ ذلك الفارس الصليبي المتعصب على الرغم من أن الفاصل الزمني بينهما بلغ (٤) سنوات.

أما أوجه الاختلاف، فيمكن ملاحظتها من خلال العناصر التالية:

أولاً: وقعت حملة أرناط على الحجاز في فصل الشتاء وتحديدًا خلال المرحلة من ديسمبر ١١٨٢م إلى فبراير ١١٨٣م. وكان رد الفعل من جانب الأسطول الأيوبي خلال المدة الواقعة من ٢٨ يناير، ٢٦ فبراير من عام ١١٨٣م[٣٠]، أما معركة حطين فقد حدثت خلال صيف عام ١١٨٧م وتحديدًا خلال شهر يوليو، وذلك يعني أن هناك اختلافًا في التوقيت الزمني بين الشتاء والصيف مع ملاحظة أن كلاً منهما له توابعه في العمليات الحربية من خلال إدراكنا أن

الجغرافيا توجه التاريخ، وما التاريخ إلا الصراع على الجغرافيا.

ثانيًا: لدينا إشارات أكثر تفصيلاً عن الحادثة الثانية إذا ما قورنت بالحادثة الأولى، وموثقة مصدريًّا من المصادر المعاصرة والمتأخرة؛ ولعل من أسباب ذلك أن الحادثة الثانية اتصلت بمعركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م والتي فصلت أمرها المصادر التاريخية الأيوبية، وكذلك المصادر التاريخية التالية؛ نظرًا لمحوريتها وأهميتها البالغة في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي.

ثالثًا: عندما وقعت المواجهة بين الصوفية والرهبان الفرسان الصليبيين عام ١١٨٣م لم يكن صلاح الدين الأيوبي متواجدًا في الأماكن المقدسة الإسلامية؛ نظرًا لوجوده حينذاك في الجزيرة الفراتية بأعالي الفرات، أما في الحادثة الثانية، فقد تواجد في ساحة المعركة وقام الصوفية بنحر الأسرى الصليبيين أمام ذلك السلطان شخصيًّا تنفيذًا لأوامره.

رابعًا: كانت مواجهة الصوفية للرهبان الفرسان في حادثة عام ١١٨٣م ضمن أحداث بحرية وبرية، كما اتضح لنا من خلال مغامرة إرناط والمشار إليها، أما الحادثة الثانية، فقد تمت على نحو بري خالص خلال أحداث معركة حطين الحاسمة التي جرت في الجليل الأعلى بشمالي فلسطين إلى الغرب من بحيرة طبرية.

خامسًا: لا نغفل ملاحظة أن عدد قتلى الأسرى من عناصر الاستبارية والداوية على أيدي الصوفية بلغ (١٧٠) فردًا عام ١١٨٣م، أما في عام ١١٨٧م فكان عددهم أكبر حيث بلغ مائتين، كما أسلفت الإشارة من قبل، مما دل على زيادة عدد القائمين بذلك العمل في الحادثة الثانية عن الأولى.

هكذا يتضح لنا وجود جوانب للاتفاق وأخرى للاختلاف بين الحادثتين المذكورتين.

يلاحظ أن تلك الحادثتين الدمويتين في عهد صلاح الدين الأيوبي، تعتبران استثناءً إذا ما قارناهما بسياسة العامة المتسامحة حيال الأسرى الصليبيين خاصة المدنيين، فقد افتدى من ماله الخاص مئات من الأسرى الصليبيين بعد أن تمكنت قواته من دخول بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م.

لذلك علينا إدراك الموقف من خلال طبيعته الخاصة ودور عناصر الاستبارية والداوية في قتال المسلمين والاعتداء على الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز لذلك، فإن المؤرخين الغربيين الذين هاجموا السلطان على إصدار أوامره بالفتك بتلك العناصر الصليبية لم يدركوا الخلفيات التاريخية التي وقفت وراء قراره بإعدام أسرى الرهبان الفرسان الصليبيين، وتناسوا في نفس الحين أن الصليبيين هم الذي بدءوا تاريخهم بالمذابح الدموية كما حدث في بيت المقدس عام ١٠٩٩م [٣١].

لقد نتج عن قيام الصوفية بالفتك بتلك العناصر الصليبية عدة نتائج يمكن إجمالها من خلال التالي:

أولاً: تأكيد للمعاصرين أن المتصوفة في العصر الأيوبي شاركوا مشاركة بارزة في أحداث الصراع مع الصليبيين، فهاهم يفتكون بأشد العناصر فتكًا بالمسلمين، ومن المفترض أن الحادثتين المذكورتين ظلتا عالقتين في الخيال الشعبي لدى المسلمين لعقود طويلة خاصة بما احتوته من الثأر لمن قتل من المسلمين على أيديهم، ناهيك عن ندرة الحادثتين على نحو خاطب ذلك الخيال كما هو مفترض منطقيًّا.

ثانيًا: نظر الصليبيون للرهبان الفرسان الذين تم الفتك بهم على أساس أنهم من الشهداء الأتقياء الذين أصروا على الموت كمسيحيين، ورفضوا اعتناق الإسلام فرارًا من قدرهم المحتوم، بل صاروا فدوة افتدى بها باقي عناصر الصليبيين.

ثالثًا: لا ريب في أن الحادثتين المذكورتين لم نجد لهما تكرارًا مشابهًا لهما في العصر المملوكي التالي للعصر الأيوبي وخاصة خلال المرحلة الواقعة بين عامي

١٢٥٠م، ١٢٩١م والأول تاريخ قيام دولة المماليك البحرية، والثاني عام طرد الصليبيين من آخر معاقلهم في بلاد الشام وأعني بذلك مدينة عكا الفلسطينية التي سقطت في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (١٢٩٠-١٢٩٣م) مما دل على تفردهما على المستوى التاريخي في ذلك العصر.

رابعًا: من المفترض منطقيًا أن صار أعلام الصوفية الذين شاركوا في تلك الحادثة بمثابة أبطال شعبيين وكثرت الأحاديث عنهم التي تناقلتها الأجيال، وتأكد للجميع بالتالي أن المتصوفة لهم دور فعال خارج الزوايا والحوانق.

خامسًا: من المتوقع أن الجانب الصليبي رأى في أولئك الفرسان الذين تم الفتك بهم بمثابة شهداء دافعوا عن دينهم ضد المسلمين، ودليلنا عن ذلك؛ ما ألفه بيتر أوف بلوا Peter of Blois[٣٢] تحت عنوان Passio Regnaldis أي مأساة رينو ويعني به رينودي شانتيون، حيث صوره فارسًا صليبيًا بطلاً رفض الارتداد عن دينه وقاتل المسلمين ببسالة – من وجهة النظر الصليبية – لذلك نظر إليه كشاهد فرسان المسيحية الشهداء في ذلك العصر، وقد امتد هذا إلى ساحة المؤرخين الغربيين المحدثين؛ إذ إن المؤرخ الإنجليزي كنج King يتعاطف معهم عندما تحدث عن تلك الأحداث[٣٣].

وبعد، فقد خلص البحث إلى عدة نتائج نجملها على النحو التالي:

أولاً: واجه المتصوفة المسلمون عناصر الاسبتارية والداوية في حادثتين بارزتين هما حملة ارناط على الحجاز عام ١١٨٣م، وفي أعقاب معركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م، وقد فصل بين الحادثتين (٤) أعوام فقط وكان دورهم هذا بأوامر من صلاح الدين الأيوبي شخصيًا الذي أراد حدوث مواجهة حربية بين أكثر العناصر الإسلامية تدينًا، وهم المتصوفة، وأكثر العناصر الصليبية تعصبًا وهم الرهبان الفرسان.

ثانيًا: كان قرار ذلك السلطان بالفتك بتلك العناصر بمثابة الاستثناء الوحيد وسط

تسامحه وإنسانيته تجاه عناصر الأسرى من الصليبيين، حيث افتدى من ماله الخاص مئات منهم عندما دخل بيت المقدس فاتحًا في ٢ أكتوبر عام ١١٨٧م.

ثالثًا: هاجم بعض المؤرخين الغربيين ذلك المسلك من جانب صلاح الدين الأيوبي واتهموه بالقسوة دون إدراك لطبيعة الظروف التاريخية السابقة التي شارك خلالها الاسبتارية والداوية في حملة أرناط الغادرة على الحجاز لنقل رفات رسول الإسلام محمد ﷺ إلى الكرك؛ وكذلك اشتراكهم في كافة المعارك الحربية ضد المسلمين منذ العقد الثاني من القرن ١٢م، حتى وقوع الصدام معهم.

رابعًا: تأكد لنا من خلال وقائع التاريخ المؤكدة حينذاك أن صلاح الدين الأيوبي على الرغم من تسامحه العام تجاه أسرى الصليبيين إلا إنه كان عسكريًّا وسياسيًّا بارعًا لم يكن له أن يضيع فرصة الفتك بتلك العناصر الصليبية المتعصبة، ولا يسيء إليه ذلك التصرف من خلال إدراكنا لتاريخهم الدموي على مدى المرحلة السابقة وأراه محقًا تمامًا فيما أقدم عليه دون أن نتهم بالشيفونية.

ذلك عرض عن المواجهة الدموية بين الصوفية والرهبان الفرسان الصليبيين في عامي ١١٨٣م، ١١٨٧م في كل من الحجاز وفلسطين.

الهوامش

(*) أهدى هذا البحث إلى روح أستاذي أ.د. أحمد رمضان أحمد (ت ٢٠١١/٩/٢٢) أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة عين شمس الذي نبهني إلى أهمية ذلك الموضوع مبكرًا وتحديدًا عام ١٩٨٠م، طيب الله تعالى ثراه واسكنه فسيح جناته اللهم آمين.

(١) – عن التصوف الإسلامي، انظر هذه المصادر والمراجع المختارة، السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود، ط. القاهرة ١٩٦٠م، السهروردي، هياكل النور، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ابن عربي، ذخائر الأعلاق، ط. بيروت ١٣١٢هـ، القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ط. القاهرة (ب.ت)، النفري، موقف المواقف، نشر بولس نويا، ضمن كتاب نصوص صوفية غير منشورة، ط. بيروت ١٩٧٢م، أبو النعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ط. القاهرة ١٩٣٨م، جلال الدين الرومي، مثنوى، ت. عبد السلام كفافي، ط. بيروت ١٩٦٦م، الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية تحقيق عبد الباقي سرور، ط. بيروت ١٩٧٨م، ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، نشر بولس نويا، ط. بيروت ١٩٧١م، أبو العلاء عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ط. القاهرة ١٩٦٧م، محسن غلاب، التنسك الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٦١م، نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ت. أبو العلا عفيفي، ط. القاهرة ١٩٦٩م، سعيد مراد، التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، عبد الحليم محمود، أبو الحسن الشاذلي، سلسلة أعلام العرب، ط. القاهرة ١٩٦٧م، أبو الوفا التفتازاني، الكتاب التذكاري عن شهاب الدين السهروردي، ط. القاهرة ١٩٧٨م، زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ط. القاهرة ١٩٥٤م، الصادق عرجون، التصوف في الإسلام، ط. القاهرة ١٩٦٥م، جان شوفلي، التصوف والمتصوفة، ت. عبد القادر فنيني، ط. المغرب ١٩٩٩م. =

= S. Trimingham, The Sufi Orders in Islam, Oxford 1998.

A. Afifi. the Mystical philosophy of Myhyid Din Ibn Arabi, Cambridge 1939.

A.D. Kiysh Ibn Arabi in the later Islamic Traditions the making of polemical Image in Medieval Islam, state university of New York, New York 1999.

(٢) عن الغزالي انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين. ط. القاهرة (ب.ت)، كرادوفو، الغزالي، ت. عادل زعيتر، ط. القاهرة ١٩٥٩م، سميح طلعت الزين، الإمام الغزالي، ط. بيروت ١٩٨٨م، محيي الدين زعرور، اللامعقول وفلسفة الغزالي، ط. ليبيا ١٩٨٣م، حسام الدين الألوسي، الغزالي، ط. بغداد ١٩٧٠م، عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي ط. القاهرة ١٩٦١م، مفيدة إبراهيم، أبو حامد الغزالي

مربيًا، ط. عُمَّان ٢٠١١م، أحمد علي زهرة، الغزالي بين الصحو والعرفان، ط. دمشق ٢٠٠٦م، مجموعة من الباحثين، مهرجان الغزالي، ط. دمشق ١٩٦١م.

M.W. Watt. The Faith and paradise of aL- Ghazali, Oxford 2000.

F. Mitha, AL- Ghazali and the Ismailis , A Debate on Reasan and Aythority in Medieval Islam, London 2001.

(٣) عن ذلك انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص٨٢. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، ج٢، ط. دمشق ١٩٤٨م، ص١٧٨، محمد مؤنس عوض، الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور= =الوسطى، تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٧، عبلة المهندي، صلاح الدين وتحرير المقدس، ط. عمان ٢٠٠١م، ص١٧٣.

(٤) عنه انظر: اليونيني البعلبكي، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ط. حيدر اباد الركن، ص٦٢٣.

(٥) النعيمي، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٨.

(٦) عن الاستبارية انظر:

A History of deads done beyond the sea, Trans. E.A.Babcock and A.C. Krey, voI., New York 1943, p. 80.

Delgville le Roulex, Cartulaire , paris 1894.

F.J. King, the Rule Statutes and Customs of the Hospitallers (1110-1310), London 1943.

F.J. King, the Kinghts Hospitallers in the Holy Land, London 1931.

J. Riley. Smith, A History of the Kinghts of St. John of Jerusalem, London 1967.

نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية (القرنين ٦–٧هـ/ ١٢–١٣م)، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص٣١، ص٣٩، سامي سلطان سعد، الاسبتارية في رودس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

(٧) عن الداوية انظر:

William of Tyre , VoI, I, p. 81.

P.Paul Read, The Templars, London 1999.

M. Barber, The Trial of the Templars, Cambridge University press,

Cambridge 1978, Id, the New Knighthood , A History of the Order of Templars , Cambridge University press, Cambridge 1994.

المؤرخ المذكور من أهم المؤرخين الغربيين في مجال الداوية.

M. Barber and K. Bate ed. and Trans, the Templars, Manchester Medieval Sources, ed. R. Horrox and J.L. Nelson, Manchester University, Manchester 2002.

إبراهيم خميس، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، جماعة الفرسان الداوية، ط. الإسكندرية ٢٠٠٢م، لطيفة العنزي، نهاية منظمة الداوية Templars في أوروبا ٧١٣هـ/١٣١٣م، مجلة كلية الآداب – جامعة سوهاج، العدد (٢٨)، مارس عام ٢٠١٥م، ص١، ص٣٢.

(٨) عنه انظر:

William of Tyre , A History of deeds done beyond the sea, Trans E. A. Babcock and A.C. Krey, vol. II, New York 1943, p. 40.

A. Murray, the Crusades, An Encycloped, II , Oxford 2006. P. 610.

محمد مؤنس عوض، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٤٥٤، ص٤٢٥.

(٩) عن طريق يافا – القدس نعرف أنه امتد نحو (٦٧) ك.م، ومر بمناطق جبلية وعرة من غربي القدس ثم عبر دير ياسين وأبو غوش ثم يمر بالرملة، وقد قام الصليبيون بتشييد (٦) قلاع لحمايته وحماية الحجاج المارين به، عنه انظر:

Daniel, Pilgriniage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, Trans. Wilson, p.p.T.S, TV, London 1895. P. 9.

سيد فرج، القدس عربية إسلامية، الدارة، السنة (٨)، العدد (٢)، يناير ١٩٨٤م، ص١٢، عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، م (١٥)، عام ١٩٦٩م، ص٦٢، علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٢١٣.

(١٠) عن قلاع الصليبيين التي سيطرت عليها فرق الرهبان الفرسان من الاستبارية والداوية انظر:

R. Smail, Crusader, Castles of the Twelfth century, C.H.R., 1951, pp 133.

P. Deschamps, les Chateaux des Croisés en Terre Sainte, Crac des Chevaliers, paris 1939.

R. Fedden and J. Thompson, Crusader Castles, Beirut 1957.

H. Kennedy, Crusader Castles, Cambridge 1994.

طالب الصوافي، القلاع والحصون في شمال فلسطين، ط. عكا ٢٠٠٠م، مولر، القلاع أيام

الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، ط. دمشق ١٩٩٢م، مرفت سعيد، حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي – الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م، صلاح عبد المنعم، القلاع في مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة ١٠٩٩–١١٩٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م، محمد مؤنس عوض، القلاع الصليبية في بلاد الشام في القرنين ١٢، ١٣م، ط. القاهرة ٢٠٠٦م. إيمان كامل ثابت، القلاع الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٩م.

(١١) عن الشيخ عبد الله اليونيني انظر: أبو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص١٩١، ص١٩٢، حسن نصر الله. تاريخ بعلبك، ج٢، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٣٩، لؤى البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي، ط. عمان ٢٠٠٦م، ص٢٦٣، ص٢٦٤، محمد مؤنس عوض، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٢٨٥.

(١٢) عن رينودي شاتيون انظر:

Peter of Blois, Passio Regnaldis, P.L., 207, 1904, cols. 957-976.

G. Schlumberger, Renauld de Chatillon prince of Antioch, paris 1933.

دراسة قديمة لكنها أساسية.

B. Hamilton, Reynald of Chatillon, the Elephant of Chist, S.C.H., 15, 1978, pp. 97-108.

(يعاب على المؤرخ البريطاني برنارد هاملتون الدعائية الممجوجة حيث وصف أرناط بأنه قتل السيد المسيح !! تقليدًا لحملة أبرهة الأشرم على الكعبة).

محمود رزق محمود، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى موقعة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م.

(١٣) عن حملة رينودي شاتيون على الحجاز انظر: ابو شامة، الروضتين في تاريخ الدولتين، ج٢، ط. بيروت، ب.ت.، ص٣٧، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج٢، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص١٢٩، ص١٣١، عمر يحيى محمد، من أحداث الحروب الصليبية مغامرة الصليبي أرناط الفاشلة لغزو الحجاز ٥٧٨هـ/١١٨٢م، التاريخ والمستقبل، عدد يوليو ٢٠٠٦م، ص١، ص٦٥ (دراسة علمية ممتازة).

L. Leiser, the Crusader Raid in J.A.R.C.E., 14, 1977, pp. 87-99.

B. Hamilton, the leper king and his heirs, Baldwin TV and the Crusader

Kingdom of Jerusalem, Cambridge 2000, pp. 181-184.

(١٤) عن عيذاب على بعد ١٢ ميلاً شمال قرية حلايب في أقصى حدود مصر مع السودان، عنها انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ط. بيروت ب.ت، ص٣٥١، أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودي سلان ط. باريس ١٨٤٠م، ص١٣٠، ص١٣١، ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م، ص٣٢٥، أحمد دراج، عيذاب مجلة نهضة أفريقية السنة الأولى، العدد (١٩) يوليو ١٩٥٨م، ص٥٣، ص٦٠، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص٨٠، السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط. الإسكندرية ١٩٩٣م، ص٤١.

B. Hamilton , p. 183.

(15)–B. Hamilton , p. 183.

(١٦) عن حسام الدين لؤلؤ انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ج١/ ق١، ص٧٩، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط. القاهرة ١٩٧٦م، ص١٠٦، محمد مؤنس عوض، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة ٢٠٠٨، ص٢٤٥، منذر الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج١، ط. دمشق ٢٠٠٦م، ص٢٤٢. .B. Hamilton , p. 183

(١٧) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩–٢٠٠٠م، ص٢١٥.

(١٨) المقريزي، السلوك ج١/ق١، ص٧٩، حسنين ربيع، البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ضمن ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار التاريخ الحديث جامعة عين شمس، تحرير أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١١٠، ياسر كامل، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الرابع ١١٧٤–١١٨٥م/ ٥١٠–٥٨١هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة أسيوط، عام ٢٠٠٨م، ص١٦٦ (عمل علمي متفرد).

(١٩) عن ابن جبير انظر: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطه، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج٢، ط. القاهرة ١٩٧٤، ص٢٣– ص٢٣٩، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ص١٤٣. نواف الحجمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس في القرن الثامن (١٢–١٤م)، ط. عمان ٢٠٠٨م، ص٦٣، ص٦٨، نزار الدباغ، رحلة ابن جبير، الأحوال السياسية والعمرانية ٥٧٨–٨–٥٨١هـ/ ١١٨٢–١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الموصل عام ٢٠٠١م (دراسة رائدة)، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. جدة، ب.ت.، ص٣٢٣، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٨٣، ص٣٢٣، محمد

محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، ط. الرياض ١٩٨٣م، ص١٥٣، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ت. صلاح الدين هاشم، ق١، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٩١، ص٢٩٨.

(٢٠) الرحلة، ط. بيروت، ب.ت.، ص٢٢٠، ص٢٢١.

(٢١) عن معركة حطين انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص٧٥، ص٧٩.

The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197, in the Conquest of Jeruslem and the Third Crusade , ed. p. Edbury, Hampshire 1996, pp. 158-163.

B.Z. Kedar (ed.), the horns of Hattin , J. rusalem 1992.

B.Z. Kedar, the Battle of Hattin Revised, in horns of hattin, Jerusalem 1992, pp. 190-207.

(الكتاب المشار إليه عبارة عن وقائع المؤتمر الدولي الذي عقد في فلسطين المحتلة بمناسبة مرور (٨٠٠) عام على معركة حطين وشارك فيه كبار المؤرخين على المستوى الدولي، ويعتبر من أهم الدراسات في مجاله، وقد حرره المؤرخ الإسرائيلي البارز بنيامين ز. كيدار)

يوسف سامي اليوسف، حطين، ط. دمشق ١٩٨٨م، جلال كشك، لمحات من حطين، ط. القاهرة ١٩٨٥م، سعيد عاشور، حطين وقائع وعبر، العربي، العدد (٣٤٤)، يوليو ١٩٨٧م، ص٤٢، ص٤٥، مجموعة من الباحثين، ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م، مجموعة من الباحثين، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون على موقعة حطين، ط. دمشق ١٩٨٧م، سهيل زكار، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، ط. دمشق ١٩٨٤م، شوقي أبو خليل، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، ط. دمشق ٢٠٠٨م (دراسة متواضعة المستوى).

(٢٢) عن حادثة الفتك بالرهبان الفرسان الصليبيين عقب معركة حطين انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٨١، ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤، ص٧٧، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج٢، ط. القاهرة، ص١٩٦، ص١٩٧، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ق١/ج١، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٣٦م، ص٩٣، ابن أيبك الدواداري، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عاشور، ج٧، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٩٦، ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١٩٤، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ط. القاهرة ب.ت.، ص٤٤، الفتح البنداري، سنا

البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٩٨.

Jacques de Vitry, History of Jerusalem , Trans. Aubrey Stewart, P.P..S., X, London 1896, p. 101.

C.Oman, A History of the art of lvar in the middle Ages, vol.II, London 1925, p. 332.

Kerr, The Crusades, London 1966, p. 44.

جوناثان رايلي سميث، والاستبارية فرسان القديس يوحنا ص٧٧، محمد مؤنس عوض، الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ص١٠٤.

(٢٣) الحنبلي، الأنس الجليل، تاريخ القدس والخليل، ج١، ط. النجف ١٩٦٦م، ص٣٢٢، ابن منلكي، الأحكام الملوكية والضوابط النموسية في فن القتال في البحر، تحقيق نبيل عبد العزيز، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص٨٥، ص٨٦، أحمد رمضان أحمد،شبه جزيرة سيناء والعصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٢١.

(٢٤) عنه انظر: أبو شامة، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق محمد بشير عون، ط. دمشق ١٩٩١م، مقدمة التحقيق، حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين، ط. بيروت ١٩٩١م. إبراهيم الزئبق، أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م-٦٦٥هـ/١٢١٧م، دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية، ط. دمشق ٢٠١٠م، سالم الطنيجي، منهج أبي شامه المقدسي في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط. راس الخيمة ٢٠٠٩م، (دراسة ممتازة).

(٢٥) الروضتين في أخبار الدولتين (النويرية والصلاحية) ج٢، ط. بيروت ١٩٧٧م، ص٧٩. يقول النص: «فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح بيومين طلب الأسارى من الداوية والاستبارية وقال أنا أطهر الأرض من هذين الجنسين النجسين فما جرت عادتهما بالمفاداة، ولا يقلعان عن المعاداة ولا يخدمان في الأسر وهما أخبث أهل الكفر فتقدم بإحضار كل أسير داوي واستبتري ليمضي فيه حكم السيف... ».

(٢٦) نظير حسان سعداوي، جيش مصر في أيام صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص١٨.

(٢٧) عن دور المغاربة في الجهاد عصر الحروب الصليبية انظر: ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص٢٧٨، عبد الهادي النازي، بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية، المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام، ط. عمان ١٩٧٤م، ص٤٣٤، عبد المجيد بهيني، المغاربة والجهاد= =البحري ضد الصليبيين، مجلة التاريخ العربي، العدد (١٥)، عام ٢٠٠٠م، ص١٤١، ص١٥١، السيد عبدالعزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ط. الإسكندرية ١٩٦٧م، ص٢٤٩.

(28) W.B. Stevenson, the Crusaders in the east , Beirut 1963, p. 248.

(٢٩) ول ديورانت، قصة الحضارة، عصر الإيمان ج(٤)، م (٤)، ت. محمد بدران، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٤٥. وعن ذلك المؤرخ الأمريكي ورؤيته لصلاح الدين الأيوبي انظر: محمد مؤنس عوض، من التاريخ العالمي لصلاح الدين الأيوبي (١١٣٨-١١٩٣م) دراسة لرؤية المؤرخين الغربيين المحدثين (تحت الطبع) حيث تم تخصيص فصل عنه ضمن القسم الخاص بالمؤرخين الأمريكيين.

(٣٠) عن جي دي لوزينيان انظر:

William of Tyre , II , pp. 492-501.

مجهول، الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد. ت. حسن حبشي، سلسلة تاريخ المصريين ج١، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٨٥، مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٢٢١، سهير نعينع، جي دي لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الإسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٢٤-ص٣٩٩.

A.Murray, the Crusades an Encyclopedia II. P. 541-551.

(٣١) عن مذبحة بيت المقدس عام ١٠٩٩م التي ارتكبها الصليبيون وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين انظر:

Anonymous, the deeds of the Franks and other pilgrins to Jerusalem, Trans. R. Hill, London 1962, p. 41.

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalen, Trans. Frances Rita Rian, Tennessee 1969, p. 122.

ابن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ، ص١٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٤٢٧، رنسيمان، المسيحيون العرب في فلسطين ط. أسكس ١٩٦٨م، ص١٤، ميخائيل إسكندر، القدس عبر التاريخ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٥٧، ص٥٨، مصطفى الحياري، القدس زمن الفاطميين والفرنجة، ط. عمان ١٩٩٤م، ص٤٤، شفيق جاسر، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية، ط. عمان ١٩٨٩م، ص٢٨٤،.

S. Goitein, Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by the Crusaders, J.J.S.,X, 1952, pp. 162-177.

(٣٢) عن ذلك انظر:

Peter of Blous, Dassio Requaldis, P.I., 207, 1904, cols 957-976.

(33) F.J. King, the knights hospitallers, p. 123